تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهموا بقتل صالح أيضا بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه : إنهم ما علموا بشيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى : { وكان في المدينة } أي مدينة ثمود { تسعة رهط } أي تسعة نفر { يفسدون في الأرض ولا يصلحون } وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أي الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم قبحهم ا ولعنهم وقد فعل ذلك وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة : دعمى ودعيم وهرما وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة أي الذي باشر ذلك بيده قال ا تعالى : { فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر } وقال تعالى : { إذ انبعث أشقاها } .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا يحيى بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء ـ هو ابن أبي رباح ـ يقول { وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون } قال : كانوا يقرضون الدراهم يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك .

وقوله تعالى : { قالوا تقاسموا با لنبيتنه وأهله } أي تحالفوا وتابعوا على قتل نبي ا صالح عليه السلام من لقيه ليلا غيلة فكادهم ا وجعل الدائرة عليهم قال مجاهد : تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين وقال قتادة : تواثقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه وذكر لنا أنهم بينما هم معانيق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث ا عليهم صخرة فأهمدتهم قال العوفي عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها : لنبيتن صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فدمرهم ا أجمعين وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا فإن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ثم هموا

به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم : وا لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح { تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب } قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا إلى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فبعث ا عليهم صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب ا هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى ا صالحا ومن معه ثم قرأ { ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية } أي فارغة ليس فيها أحد { بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون }